بين الصحافة والأدب

الدكتور منير بكر التكريتي
المدرس بقسم اللغة العربية

الخلاصـــة :

(١) ان الصلة وثيقة بين الادب والصحافة ولا يمكن الفصل بينهمـا بأية حال من الاحوال وان اختلفا في اهدافهما واغراضهما بعض الاختلاف · لقد اظهر هذا البحث بجلاء ان الادب خالد والصحافة غير خالدة الى حد ما بمعنى ان الصحافة في جانب من جوانبها كالتعليقات السياسية والتحقيقات الصحافية والاخبار تزول بزوال مؤثرها وهي اشبه ما تكون بطعام يقدم لاكله في يوم معين ووقت معين ولا يصلح ان يقدم اليه بعد سنة او تزيد لانه ـ الطعام ـ يتعفن ويفسد وهكذا · الاخبار والتعليقات والتحقيقات وما اليها بنت ساعتها ويومها · اما الجانب الثاني من الصحافة وهو الجانب الخالد فنعني به ما يكتب من نتاجات ادبية كالقصة والرواية والمقالة بنوعيها فهو أدب خالد ·

والصحافة كالادب سواء بسواء وهذا ما نجده بالضبط في الصحافة الادبية بخاصة وفي بعض الصحافة السياسية بعامة عند معالجاتها لامور ادبية اقتضتها الضرورة الملحة ·

وقد حاولنا في بحثنا اظهار الصلة بين الصحافي والاديب من ناحيـة والاختلاف بينهما من ناحية اخرى · وخرجنا بنتيجة هي :

ان كل صحافي أديب ، وليس كل اديب صحافيا ، لان الصحـافي موسوعة ، ونقصد به الصحافي الذى تنطبق عليه هذه اللفظة بمعناهـا ومبناها ، اذ يجب ان تضم هذه الموسوعة « الصحافي » بين جوانبها مختلف المعارف والفنون ، وان يأخذ هذا الصحافي من كل علم بطرف اضافة الى ثروته الصحافية كالاخراج والتسويق والاعلان ··· الخ ·

(٢) اما الاديب فلا يمكن ان يكون صحافيا لامعا وناجحا في مهمتـه الصحافية ، وان جمع في شخصيته المعارف والعلوم والمهارات لانه ذاتي يعبر عن ذات نفسه سواءا كان ذلك في شعره أم نثره · فهو يتأثر عاطفيا بمنظر من المناظر وينفعل له ثم تخرج تجربته الموحية المعبرة عن ذات نفسه متمثلة في ما نظم او كتب · يقرأ هذا النتاج من يستهويه ويخلب لبه ويعزف

عنه من لا يتأثر بتجربة الشاعر او الكاتب • في تصوري : يعود هذا الى حقيقة معينة هي ان الاديب يكتب للخاصة لا للعامة اولا ، وانه يكتب بأسلوب وبالفاظ لا يعرف معناها ومغزاها الا فئة من المثقفين ، ثانيا •

أما الصحافي فهو غير ذاتي ، أي لا يعبر في الخبر او التحقيق او الاعلان عن تجربته النفسية ولا عن ذاتيته • وانما يكتب للناس جميعا معبرا عن تجاربهم كافة وبذلك تفنى ذاته في ذات المجموع وهكذا •

وبعد فأرجوا ان يكون هذا البحث قد أحاط بالموضوع من جميع جوانبه ، وان يرضي الباحثين والدارسين ، والله الموفق للصواب •••

لقد قيل حقا : ان الصحافة بنت الادب ، اذ ليس في هذا نوع من التلاعب اللفظي أو المبالغة في التعبير ، واصدق ما يكون ذلك في الصحافة منذ اطوارها الاولى وعهودها المتقدمة من حيث الزمن •

فالصحافة في تلك الاطوار تبدو وكأنها في دور التكوين ، وهو الدور الذى اهتمت فيه الصحافة العربية بنوع خاص بمهمة التثقيف والتهذيب عن طريق الادب الذى ينشر في الصحف أو الكتب : « الصحافة بنت الادب » نعني ان الادب كان في عصوره السابقة يقوم مقام الصحافة في تزويد الناس بقدر من المعلومات التي لابد منها لمسايرة الحياة العامة من جهة ، ولتكوين الرجل المهذب أو الرجل المثقف من جهة ثانية ، ثم انتقلت الصحافة العربية من دور البداوة الى دور الحضارة ، واصبحت في هذا الدور الاخير صناعة ورسالة ، وأوجب عليها الاعتبار الاخير ـ وهو كونها رسالة ـ انها تعنى بالجانب الادبي او الانساني عناية كبيرة • ومهما يكن من شيء فالصحافة لا غنى لها في كل دور من ادوارها عن الادب بحال ما • وهذا الادب هو الجانب الخالد من جوانب الصحافة • لان الجوانب الاخرى كالخبر ، والتعليق ، والحديث ، والتحقيق تعتبر ضرورة اليوم الملحة ، كما انها تتغير بتغير هذا اليوم •

غير ان الادب الذى عرفه الناس قبل ظهور الصحافة كان ـ بدون

شك ـ يخالف الادب الذى عرفوه بعد ظهور الصحافة • فالاول ، وهو الادب القديم ، كان يكتب للخاصة وكان الاديب يتوخى ان يكتبه بلغة عالية واسلوب رفيع يلائم هذه الطبقة الخاصة وما ترنو اليه وتحبذه ، على حين ان الثاني :ـ وهو الادب الذى ينشر في الصحف انما يكتب لجميع الناس ولمختلف الطبقاء سواء أكانت مثقفة ثقافة عالية أم ثقافة متوسطة وهكذا • لذلك يتوخى الاديب الصحافي في كتابته لغة فيها كثير من الايناس في التعبير ، والالفة ، واختيار الالفاظ ، كما يتوخى الاساليب السهلة بحيث يصبح هذا الادب مفهوما لدى اكثر عدد من القراء • وبدون ذلك لا يقبل هؤلاء على قراءة الصحيفة بأية حال من الاحوال •

من هنا أجمع الباحثون على ان ظهور الصحافة كان حدثا خطيرا في تاريخ الثقافة ، وكان له تأثير عظيم في الادب بشتى الوانه ، ومن اهمها الشعر والقصة والمقال • ويصح ان نضيف الى الظواهر السابقة ظاهرة تستحق الالتفات وهي :ـ ان طريق الشهرة للشاعر في الزمن السابق كان هو القصيد ينشد بين يدى الامير او الوزير او الحاجب او الزعيم او الرجل الخطير او في المجالس العامة • كما كان طريق الشهرة كذلك يأتي عن طريق الكتب التى تهدى الى الامراء والوزراء •

اما طريق الشهرة في العصر الحديث فان احد مسالكه هو الصحف ، ينشر فيها الشاعر او الكاتب او الاديب نتاجه الشعرى او النثري ويقرأ هذا النتاج اكبر عدد ممكن من القراء ، وسرعان ما يصبح هذا الشاعر أو الكاتب معروفا لدى الجماهير ، وله شهرة واسعة بينهم • هكذا نجد النتاج الادبي بعد ان كان يوجه الى الامير وحاشيته اصبح يوجه الى الجماهير • والفرق كبير من حيث الاذواق الفنية بين طبقة الامراء ، وطبقات الشعب وبعبارة اخرى بين الارستقراطية والجماهيرية الادبية او الفكرية • وهو فرق يلتفت اليه الشاعر او الكاتب او الخطيب بل الصحافي في كل زمان ومكان •

وقد فعل القدماء ذلك عندما كانوا يخاطبون ذوى الامر من الخلفاء والامراء والعلماء والرؤساء • فلما جاءت الصحافة اعفت الادباء المحدثين من كل هذا الجهد • لقد كان الادب في العصور القديمة يتبع النظرية القائلة « الفن للفن » فاصبح الادب في عصرنا هذا ادبا هادفا ليست له غاية في نفسه وانما غايته التأثير في الجماهير وتوعيتها بكل ما يمكن من ضروب التأثير ، وهكذا محت الصحافة آية « الادب للادب » ودعت الى الاخذ بنظرية « الادب للحياة » • وما ابعد الفرق بين المذهبين والمسافة بين الاتجاهين !•

هذه الصلة الوثيقة بين الادب والصحافة صلة قديمة لا يمكن نكرانها • وما زال بعض الادباء يظن ان لا صلة بين الصحافة والادب لاعتقادهم ان الصحافة مقتصرة على نشر خبر واذاعة اعلان وكتابة مقال قد يكون في اغلبه سياسيا واجتماعيا واقتصاديا • غير ان الصحافة أوسع مما ظنوا واعتقدوا فقد وجدت منذ طفولتها لامور اهم من السياسة وابقى من الحكم • فهي ، ولا ريب ، قد رعت الادب واحتضنته منذ نشأتها الاولى ، فرققت الفاظه وبسطت معانيه ، وحددت اغراضه واهدافه فقبل ظهور الصحافة كان الادب شعرا ونثرا يقال بين يدى الامير او الوالى ليحظى قائله بمغنم او مكسب لدى ذلك الممدوح • وكان في اساسه ادبا طبقيا وترفا ذهنيا للملوك والامراء • والشاعر أو الخطيب كان صحيفة عشيرته وقبيلته ، ولنا من الادب الجاهلي خير دليل • اذ كان العرب يومها يفرحون فرحا منقطع النظير ويقيمون الولائم والافراح اذا بشّروا بفرس تلد أو خطيب يظهر أو شاعر ينبغ لانها عدة القبيلة بها تدافع عن احسابها وتردّ كيد خصومها • فكان الشاعر او الخطيب اشبه بصحيفة حزبية في يومنا هذا فهي صحافة بدائية ان صح التعبير •

اذن فالصلة وثيقة بين الادب والصحافة منذ النشأة الاولى كما ان الصحافة في اساسها اثر من آثار الادب ، ومن الطرافة هنا ان نذكر المحاورة

التي عقدها احد المفكرين الفرنسيين بين كتاب وجريدة • قال فيه الكتاب للجريدة :ـ انك تنعمين بمئة الف قارىء ولكنك لا تمكثين الا ساعة او بعض ساعة في يد القارىء •• ثم تتعرضين للتمزيق والتلف واذ ذاك يلقى بك في سلة المهملات •• وهكذا تأتين سريعا وتموتين سريعا ولا تتركي أثرا في نفوس القراء الا بسيطا • فأجابت الجريدة : نعم ايها الكتاب انك لتفضلني بطول العمر ، وبسطة الاجل ، ولكن لا تنس انك تعيش أعمارا طويلة في عالم الظلام ودنيا النسيان ، وعندى ان حياة يوم واحد بالمعنى الصحيح افضل باشراقها وحركتها من حياة مئة عام تقضيها انت مجهولا من اكثر الناس مهملا فوق الرفوف التي يعلوها التراب •

ليس وراء هذا الحوار غير معنى واحد : هو ان الصحافة ادب غير خالد وان الادب خالد[1] •

والصحافي هو الآخر اديب في ذاته فهو يشارك المجتمع بتجاربه واحساساته ، يتأثر بالاحداث فينقلها صورا حية ناطقة تهز مجتمعه وتوقظه لان الصحافي قطعة من روح المجتمع وشعوره فلا يمكن بأية حال من الاحوال ان يكون متفرجا ينقل الصور جامدة لا حياة فيها ولا حركة كما تنقلها آلة التصوير ، او يرى الاحداث غير معني بما يصيب الامة والانسانية من خير أو شر كما يقول سلامة موسى[2] • وفي يقيني ان الصحافي الناجح هو من يرتفع بالصحافة الى الادب • فهو اديب بارع وحساس ان وضع اللقطة التي تعبر عن معناها في مكانها والتي تحمل بين ثنايا حروفها معانيها الحقيقية من حيث وقعها وصحة قياسها وارتباطها مع سابقتها والتي تليها •

لذا ليس من المبالغة في شيء اذا ما قلنا ان الصحافة ، بحكم صلتها الوثيقة بالادب ، مهدت الى تبسيط اللغة والقضاء على غوامضها وطلاسمها بحيث يفهمها القراء بمختلف مستوياتهم الثقافية ، كما ان الصحافة زودت

اللغة بالحيوية والطاقات الهائلة للتعبير عن كل ما هو جديد ومستحدث سواء أكان ذلك ادبا أم علما .

اذن فالصلة وثيقة لا تنفصم عراها بين الادب والصحافة . والواقع ان الصحافة نعمة على الادب ، وفضلها على اللغة امر مفروغ منه . والملاحظ في بعض الآداب الاجنبية يجد القوم هناك اتجهوا الى الغاء المسافة بين الادب والصحافة حتى اصبحوا لا يرون بين هذين الفنين اكثر من خيط دقيق لاشك انه وهن وضعف مع الزمن[٣] . والحقيقة التي لا نكران فيها ان الصحافة أعم وأوسع من الادب . فالاديب مهما اوتي من قوة البلاغة ونصاعة البيان ورجاحة العقل لن توصله هذه الامور ، وليس بمقدوره ، ان يصل الى مرتبة الصحافي ما لم يضف الى ادبه علوما وفنونا اخرى اضافة الى المران والدربة حتى يستطيع التعبير عن رغبات المجتمع وتطلعاته التي تنتظر منه ان يزودها بزادها اليومي مما يحدث في الوطن وخارجه كل ذلك يقدمه الصحافي بأدب صحفي يتلاءم واذواق قرائه[٤] . اما الاديب فقد يكون كاتبا لامعا ، وبحاثة لا يلحق ، لكن هذه لن تكفيه لان يكون صحافيا ، وانما يجب عليه ان يضيف الى ادبه علوما وفنونا اخرى ، منها الخبرة الكافية بالناس والاشياء وبالاذواق ، ومن ثم ينفي ان يرزق مع هذا كله ملكة صحفية[٥] .

مما تقدم نستنتج ، ان ليس كل اديب صحافيا ، لكن ينبغي ان يكون كل صحافي اديبا لان الصحافة دائرة معارف ، والصحافي عالم يأخذ من كل علم بطرف لانه يختلف كل الاختلاف عن الاديب .

فالاديب رجل ذاتي يعني بشخصيته وتجاربه الخاصة ، يعبر عن ذاته وتجاربه بادبه الذى يقرؤه القراء ان صادف هوى في نفوسهم ، ويعزفون عن قراءته ان كان مغايرا لما اختمر في نفوسهم .

اما الصحافي ، فرجل غير ذاتي[٦] لا يكتب عما يضمره او يعانيه من مسرات واتراح أي لا يمت الى شخصه من قريب او بعيد لانه صورة مصغرة لمجتمعه ، وعمله عمل اجتماعي يتعاطف مع المجتمع ويشاركه احساسه ، يقوم على تنوير الاذهان ، والاتصال بالرأي العام ، يتأمل الحوادث والاخبار ، ويعقب عليها ، ويشرحها دون مراعاة لمصلحته الذاتية وانما تفنى هذه الذاتية ، وتلك المصلحة في مصلحة المجموع ، وبخاصة عندما ينقل خبرا أو يجرى تحقيقا صحافيا ، أو يكتب تقريرا عن حادثة ما ، وهلم جرا .

فالصحافي اديب اولا واخيرا ، والادب الذى اقصده هنا الادب الرفيع لا الادب الرخيص ، والصحافي الاصيل لا الصحافي المتاجر .

لقد ساعد الادب على امداد الصحافة بألفاظ سهلة وواضحة للتعبير عن شؤون الحياة المختلفة بأساليب صحافية لها طابعها الخاص ، وهي أساليب ان صلحت للصحافة حينا فلا تصلح للادب في بعض الاحيان ، لان الادب فن ، وكل فن صناعة يقوم على عنصرين هامين هما : الموهبة والصنعة ، ولن تستطيع الموهبة وحدها أن تخلق أديبا ممتازا ، بل لابد له من صنعة تصقل موهبته وتضفي عليها جمالا ، وما الصنعة في الادب الا الكلمة التي تأتي لفق المعنى مختارة منتقاة ، تتلاءم وأخواتها في جرس موسيقي جذاب لا نبوّ فيه ولا معاظلة ، وتأتلف عباراتها في نفحة منسجمة تخلب اللب وتأسر القلب وتهيج العاطفة وتؤثر في القارىء والسامع الاثر الذي يريده الاديب . والصنعة وحدها من غير ملكة أو موهبة تنتج أدبا متكلفا لا روح فيه ولا حرارة ولا ابداع ، وانما هي كلمات مرصوفة ، وجعجعة فارغة[٧] .

هذا الادب الحديث يمثل الحركات الادبية التي كان يمارسها أساتذة الادب في الجامعة وأدباء الطليعة ، وبعض رجال الصحافة من المجدين . لقد أسهم الادباء والصحافيون في المعارك قاطبة سواء أكانت أدبية أم اجتماعية ، سياسية أم ثقافية ، وهذا يدلك على الاتصال الوثيق بين الصحافة

والادب في مختلف المجالات •

ليس من شك في أن الصحافة لعبت الدور الاول في تطوير حياتنا الثقافية والتأثير فيها ، وليس من شك كذلك في أنها تدخلت بشكل أو بآخر في تحديد مفهوماتنا الثقافية ورسم مستقبل أي تطور للادب • وليس في هذا ما يدعو الى العجب فان مستهلك الكلمة المطبوعة يجد في امكانات الجريدة اليومية ما يشبع كل حاجاته ، ويلبي له كل ما يريد من فائدة تحققها الكلمة ، فالجريدة تلبي حاجاته الفكرية والغريزية والعاطفية جميعا بما لابوابها من شمول ، وبما فيها من اتساع وتبويب ، وليس غريبا والحالة هذه أن تصبح الجريدة النافذة التي يطل منها القارىء على الحياة من حوله فيرى العالم ، ويرى نفسه ومجتمعه من خلالها وهذه الصحافة هي ما يطلق عليها بالصحافة الجادة ، التي ترسم الخط البياني الذي يمثل حركة المجتمع في تطوره أو انتكاسه ، وهذا يعني أن الصحافة وان كانت انعكاسا حقيقيا للمجتمع الذي تصدر فيه فانها عامل فعال في تقليب جانب من جوانب الصراع الذي يعمل في المجتمع فتؤثر بذلك في وتيجة هذا الصراع(٨)• والادب هو الآخر يصور لنا التطورات الاجتماعية والسياسية والثقافية من عهد الى عهد ومن مكان الى مكان كما تفعل الصحافة تماما • لقد بدأت الصحافة في المشرق العربي كاهنة في محراب الادب تستمد وجودها اذ قامت على أكتافه واستعانت بأدبائه ، فكتاب الادب والنقد هم العمد الاساسية في أغنائها لذا وجدنا الصحف قاطبة تستقطب الاسماء اللامعة في الادب وتفرد وتفرد لهم أهم صفحاتها ، ومن هذا التجاوب بين الصحافة والادب استفاد الادب كثيرا ، وأفاد الادباء أكثر •

ان أكثر كتابنا الاعلام يدينون بشهرتهم الواسعة للصحافة قبل الكتاب ، بل ان معظم نتاجاتهم كانت تجميعا لاعمال سبق نشرها في الصحف ، فحديث الاربعاء للدكتور طه حسين وحصاد الهشيم للمازني

كانت من نتاج الصحافة • لعبت الصحافة دورا هاما لا يمكن تجاهله في مطلع نهضتنا الحديثة الذي كانت تتمتع به في الاوساط كافة واحترامها لعقلية قرائها واهتمامها بالادب ودوره في حياتنا يومذاك • كما أن الازدهار الذي حظي به ذلك الادب يعود بالدرجة الاولى الى اهتمام الصحافة به وتقديرها لمكانته • الواقع أن الصحافة والادب كانا أداة جماهيرية فعّالة في التوعية والتثقيف والتوجيه والارشاد • كافحت الصحافة في مختلف الجهات وعملت جاهدة لتكوين الرأي ، وساهمت في نشر الثقافة وكانت في جميع الاطوار السياسية سلاحا من أمضى الاسلحة • ان خطى الصحافة صاحبت الحركات الفكرية فهي اداة تفكير وليست اداة ترف ولا فضول •

لقد أدرك الساسة والمصلحون الاجتماعيون أهمية الصحافة وتأثيرها في العقول والنفوس فأولوها المكانة اللائقة بها • قال اللورد بولوير ليتون مخاطبا النواب في البرلمان البريطاني :

« ايها السادة اذا كان عليّ أن اقدم للاجيال القادمة دليلا على مدى ما بلغته الحضارة الانجليزية من تقدم القرن التاسع عشر ، فاني لن اختار لذلك موانئا ولا طرقنا الحديدية ولا مؤسساتنا العامة ولا هذا البرلمان العظيم الذي توجد فيه ، بل يكفيني لتقديم هذا الدليل عدد واحد من جريدة ذى تايمز » • وفي هذا ما يكفي للتدليل على قيمة الصحافة الحرة الزيهة وتأثيرها في مختلف الاتجاهات وخدمة الاهداف النبيلة •

لقد كانت الصحافة في واقعها جنديا وزعيما وأديبا ومصلحا ، هي أول من ينزل الى ميدان المعركة ، فيقاتل قتال المستبسل ، فيظفر حينا ويصاب بالجروح حينا ، هي القائد والرائد في التوجيه والارشاد ، هي الاديب لانها مرآة تنعكس عليها مشاعر الناس وآراؤهم وخواطرهم ، هي المصلح المسئول عن العناية بالمجتمع من حوله ، يسجل حركات هذا المجتمع وسكناته

أولا بأول ويأخذ بأسباب النهوض ويقتلع جذور التخلف ، ويحاول جاهدا الاخذ بهذا المجتمع الى حيث السلامة والتطور والنجاح ، « فجان جاك روسو » و « مونتسكيو » و « فولتير » مروا بالصحافة فكانوا هم الذين وضعوا بذرة الثورة ، وميرابو وروبسبير ومارات مروا بالصحافة أيضا وقد كانوا من الثورة في الذروة ، و « اندرى شينيه » من بالصحافة أيضا ، فكان كاتب الثورة في عهدها الاول ، ثم لما جاء عهد الارهاب وعنف روبسبير في سفك الدماء رشقه « شينيه » بسهم من قلمه فرماه روبسبير بالمقصلة ، ولم تمض أيام حتى كان روبسبير صريع هذه المقصلة(٩) .

الواقع ان «الصحافة شجرة الحقيقة يغرد على أفنانها الكتاب الصادقون» وكم كان « الدكتور جب » صادقا حينما قال : « ان الصحيفة حارس يسهر على مصلحة الشعب » فالثورات المجيدة في التاريخ انما خرجت من فلك الادب الاصيل ، وميدان الفكر الانساني العميق ، فقد كان هيجل وراء الفاشية والنازية وروسو فولتير وراء الثورة الفرنسية والشاعر اقبال وراء انشاء دولة الباكستان ، وقصة العم توم وراء تحرير العبيد في أمريكا ، وماركس وراء الاشتراكية والشيوعية(١٠) . وتاريخنا الحديث يحدثنا ان أعلام الادب والفكر من أمثال محمد عبده وطه حسين والعقاد والمازني وتوفيق الحكيم والزهاوي والرصافي ومحمد رضا الشبيبي ومحمد مهدي البصير والجواهري كانوا من فرسان الصحافة المبرزين بل من مؤسسي الصحافة العربية بلا ريب(١١) ، كانوا أطباء بلادهم تعرفوا على الداء فوصفوا له الدواء وكانوا ندماء مجتمعهم وسلوة الضعفاء والمساكين ، كانوا المثقفين للعقول كالمتلاعبين بأوتار القلوب ، فهموا عقلية الجماهير وأخلاقها وشعورها وذوقها ، ووعوا ما يعشقه القراء من موضوعات فقدموا له ما يناسبه ، وشعروا بآلامه ومآسيه فأحبهم الشعب وأحبوهم . ان هؤلاء الادباء جمعوا كما يقول رجال الاعلام « بين صفات السياسي والاديب

والمحدث والقديس والاجتماعي والفيلسوف ورجل المال والاقتصاد في وقت واحد » .

وانصافا للحقيقة وللامانة التاريخية يجب أن نقرر أن هؤلاء الادباء كانت لهم قيمتان : قيمة ظاهرة تمثلت في الشكل الواضح السليم ، وقيمة خافية تمثلت في المضمون الصادق . لذا كانوا بحق الرواد الاوائل الذي لك يكذبوا أهلهم . يقول « برتراند رسل » : لكل شيء قيمتان : قيمة ظاهرة تتمثل في الشكل ، وقيمة مختفية تتمثل في المضمون . والشيء الزائف هو الذي تختلف قيمة شكله عن قيمة مضمونه ، أما الشيء السليم فهو الذي تتعادل فيه قيمة مضمونه أو ترجح كفة المضمون فيه على كفة الشكل . ويا لفجيعة المرء في شيء زائف يبدو شكله أجمل من شكل شيء سليم ومضمونه أقبح منه »[١٢] ومن يقرأ تفصيل ما دونه التأريخ الحديث من أخبار اولئ الكتاب في ميادين الادب والسياسة والاجتماع يجدها مجموعة أحداث رائعة ، وملاحم متعاقبة يأخذ بعضها برقاب بعض فيها الطريف ومنها الموجع الاليم ، ولم تخل واحدة منها من فروسية أو نيل ، أو جرأة على الشر والباطل ، ومع هذا وذاك فقد كانوا طليعة الادباء الذين أسهموا في الحياة الفكرية والسياسية والادبية ، واتخذوا من الصحافة وسيلة لانهاض الامة من كبوتها والتنبيه الى عثراتها والاخذ بيدها لاعادة مجدها التالد وعزها المضاع ، فاستثاروا الهمم وهزوا الضمائر فكان لهم ما أرادوا . ولابد لنا أن نقول كلمة انصافا للحقيقة والواقع : ان تلكم الادباء دافعوا عن امتهم ووطنهم بكل ما اوتوا من قوة دونما رهبة أو خوف على صفحات الصحف دفاع رجال امناء أحبوهم لصدقهم واخلاصهم فكانوا من الخالدين وهي صفحة من صفحات الكفاح الوطني والفكر الحر الخلاق . كان هؤلاء الكتاب والشعراء يجمعون في شخصياتهم بين السياسة والاجتماع ، ومد ذلك أنهم كانوا الطبقة الموجهة في الوطن العربي آنذاك ، وكان الواحد

منهم هو المالك للجريدة نفسها الى جانب كونه كاتبا صحافيا لهذا نرى كتاب المقالة يتحدثون في موضوعات شتى وفق ما تمليه عليهم والظروف • فاذا ما حدثت حادثة سياسية اندفع الشعراء والكتاب للتعبير عنها وابداء وجهة نظرهم • واذا ما حدثت مشكلة اجتماعية انبرى الشعراء معلنين رأيهم فيها ، ويطلق الكتاب آراؤهم شارحين ومعللين أسباب تلك المشكلة كذلك • فكلما ارتفعت صيحة من الصيحات كان الشعراء هم المعبرين عنها • أما الكتاب فكانوا يرددون النغمة ذاتها من التعليق عليها والشرح لهذه المشكلات وبيان أغراضها وأهدوافها ، معبرين في كل ذلك عما يسمى « بالرأي العام » لذا عني الكتاب عناية فائقة بالمقالة حيث اتجهوا بها الى البساطة في الاسلوب والدقة في المعنى لصلة المقالة الوثيقة بالجمهور كما وان المقالة هي التي مهدت الطريق لمعظم الكتّاب لبلوغ الشهرة ، وهيأت لهم الجو المناسب لذيوع نتاجاتهم الادبية ، لانهم أدركوا أن الكاتب الذي لا يجيد كتابة المقالة الصحافية يظل بعيدا عن الجمهور(١٣) « لان فن المقالة يتطلب مقدرة خاصة على تبسيط الاسلوب وتركيز الفكرة ، والقدرة على معرفة مدارك القرّاء وميولهم المختلفة(١٤) » وهي مواهب لابد أن تتوفر في كل أديب وصحافي •

في تلك المجالات السياسية والاجتماعية والثقافية تجول الكتاب العرب متخذين من الصحافة ميدانا فسيحا لهم ومنبرا حرا لنشر آرائهم في اصلاح المجتمع العربي • هذا ان دل على شيء فانما يدل على العلاقة الشديدة بين الصحافة والادب •

وقبل أن أختتم هذا البحث لابد من الاشارة الى أثر الصحافة في تقدم الاسلوب وتطوره(١٥) حيث نجدها قد اتجهت بلغتها واسلوبها وجهة أدبية طابعها التعبير الواضح واختيار الالفاظ السهلة مع الاهتمام بالمعاني وجودة العبارة والنحو ، كما أن المقال اتجه على العموم الى الاسلوب

الموضوعي الواقعي ، ولك أن تبين هذا في مقالات صحف ذلك العهد كجريدة « العرب البغدادية » و « مجلة لغة العرب » للأب أنستاس ماري الكرملي و « جريدة العلم » للعلامة الشهرستاني ، و «الرقيب» لعبداللطيف ثنيان و « الناشئة » و « الناشئة الجديدة » و « الزمان » للكاتب الصحافي الاديب ابراهيم صالح شكر و « النجف » للكاتب الصحافي الحر يوسف رجيب وغيرها .

لقد كان لكل فترة زمنية صف لها طابع خاص يختلف من واحدة لاخرى من حيث الاساليب ، والالفاظ والمعاني . لقد شاركت الصحافة مشاركة جادة في مجال التطور الاسلوبي واللفظي والمعنوي كما أثرت في الآراء والافكار(١٦) .

لقد كانت العلاقة وما تزال متينة جدا بين الصحافة والادب منذ نشأت الاولى .. ، وكانت أول نشوئها أثرا من آثار الادب بالذات اذ كانت الطليعة الاولى من الصحافيين ادباء قبل كل شيء سواء أكانوا يمارسون الشعر أم النثر . وبينما كان الادب فنا يعبّر عما يجيش في النفس ويطوف بالخيال ويعالج مشكلات الحياة ومناحيها المختلفة ، كانت الصحافة مهنة تعمل جاهدة لاطلاع الجماهير على ما يجري حولها من حوادث ، وتوجيههم الى ما يتصل بحياتهم من خير أو شر متناولة في ذلك رسالة الادب بالذات ، سالكة دروبه . لذا قيل « ان الصحافة بنت الادب » .

اذن فالصحافة بنت الادب ، والصلة وثيقة بينهما ولا يمكن فك هذا الارتباط بأية حال من الاحوال .

---

(١) مستقبل الصحافة ص٩ .
(٢) الصحافة حرفة ورسالة ، ص٤١ .
(٣) مستقبل الصحافة ، ص٥ .
(٤) راجع : الصحافة العراقية واتجاهاتها السياسية والاجتماعية والثقافية ، ص٢٢١ .

(٥) الصحافة والصحف ٠

(٦) راجع : مستقبل الصحافة ، ص٨ـ٩ ٠

(٧) « الذوق الادبي كيف يتكون » آرنولد بنيث ، ترجمة الدكتور علي محمد الجندى ، ص١٠ـ١٢ ٠

(٨) بين الادب والصحافة ، فاروق خورشيد ، ص٧ـ٨ ، مصر عام ١٩٦١ ٠

(٩) عبدالقادر حمزة : « الصحافة المصرية ، نظرة تاريخية ونظرة تحليلية » محاضرات صحفية في ٣٠ مايس ١٩٣٦ ٠

(١٠) راجع : محمد خير الدرع « معلم الصحافة والانشاء » ص١٤٩ـ١٥٨٠

(١١) الدكتور منير بكر التكريتي « اساليب المقالة وتطورها في الادب العراقي والصحافة العراقية » مخطوطة ٠

(١٢) محمد خير الدرع « معلم الصحافة والانشاء » ص٨٦ـ٩٣ ٠

(١٣) لتفصيل ذلك راجع : « الدكتور منير بكر التكريتي » الصحافة العراقية واتجاهاتها فصل « الصحافة العراقية وتطور فن المقال » ٠

(١٤) عبدالله الجبورى « نقد وتعريف » ص٦ ٠ بغداد ١٩٦٢ ٠

(١٥) طبيعي هذا لا ينطبق على صحافتنا اليوم ففيها من الاساليب والاخطاء ما ليس بوسعنا تصويره ولا حصره ومما يحز في النفس ان المانشيتات « العنوانات الكبيرة » لا تجرى على قواعد النحو والصرف واذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر ان احدى الصحف العراقية كتبت في احد اعدادها عنوانا كبيرا وبخط احمر « ليس في المريخ قمرا » وكان هذا مثار تفكه وتندر ناهيك عن الاخطاء اللغوية والنحوية التي لا تعد ولا تحصى في كل عدد من اعداد ما يصدر في العراق من صحف ٠

(١٦) الدكتور منير بكر التكريتي « اساليب المقالة وتطورها في الادب العراقي والصحافة العراقية » مخطوطة ٠

المصادر والمراجع

(١) الصحافة والصحف : عبدالله حسين ، ط١ · القاهرة ١٩٤٨ ·

(٢) الصحافة حرفة ورسالة ، سلامة موسى ، القاهرة ١٩٥٨ ·

(٣) الصحافة العراقية واتجاهاتها السياسية والاجتماعية والثقافية ، د· منير بكر التكريتي ، مطبعة الارشاد · بغداد ١٩٦٩ ·

(٤) الذوق الادبي كيف يتكون : آرنولد بنيت ، ترجمة الدكتور علي محمد الجندى ·

(٥) بين الادب والصحافة ، فاروق خورشيد ، مصر عام ١٩٦١ ·

(٦) الصحافة المصرية ، نظرة تاريخية ونظرة تحليلية ، عبدالقادر حمزة ، محاضرات صحفية في ٣٠ مايس ١٩٣٦ ·

(٧) اساليب المقالة وتطورها في الادب العراقي والصحافة العراقية ، د· منير بكر التكريتي ، مخطوطة ··

(٨) معلم الصحافة والانشاء ، محمد خير الدرع ·

(٩) نقد وتعريف ، عبدالله الجبورى ، بغداد ١٩٦٢ ·

(١٠) مستقبل الصحافة ·